

الخيال والأدب الإسلامي.. كلاهما نوافذ أم تعارض؟

■ إن الأدب الإسلامي، كما طرحه إخواننا المشارقة، ارتبط بالدعوة وهذا الارتباط انعكس أثره في تنظيراتهم. فركزوا على المحتوى حيث إن الشعر العربي الذي قيل في ظل هذه الواقعية أصبح في خبر كان. يقرؤه المرء فيشعر بتهافته وبضعفه. ولهذا حاول بعض المنظرين الإسلاميين بالشرق إضافة الخيال أو الشكل. ولكن ظلوا دائماً على المستوى العلمي مرتبطين بالمحتوى. فما نتيجة هذا الارتباط؟ بكل بساطة نقول إن هذا الارتباط أعطى في بعض الأحيان أدباً ضعيفاً.. وينبغي أن نتصف بالشجاعة لنقول: إن الأدب الإسلامي المعاصر الذي استمد مقوماته من شرف المضمون أكثره ضعيف، ولم يستطع النقد - على قلته - أن يثبت هذا الضعف، أو أن يشير إليه خشية أن يجرح المبدعين الإسلاميين لأن أكثرهم مكانة في

■ كان انطباعي الأول، وأنا أسمع بالأدب الإسلامي، بأنه أدب ذو ميزة خاصة. وطابع خاص. وأنه يتعامل مع الأشياء بطريقة روحية صرفة تربطه بالسماء.. لكن، حين تعاملت معه عن قرب، اكتشفت بأنه أدب كلمة والتزام.. يخوض فيما خاضت فيه الآداب الإنسانية الأخرى.. لافرق، سوى أنه أدب مسؤول، يحترم مبادئه، ويذود عن قيمه التي حددها القرآن الكريم، وتداولتها السنّة. فكان وفيّاً لقيم الخير والعدل والجمال.. ولكل معاني الحبّ الإنساني الأصيل.

وبين دفتي الرّفص والقبول، ترعرعت ثنائية الشكل والمضمون فكان الحديث ساخناً وحاداً حول شرف المعنى وجزالة اللفظ.. وأن المعاني مطروحة في الطريق.. وكذا الوضوح والغموض، وعلاقة الوعظية بالتقريرية.. وهل المعطى الأدبي هدف أو وسيلة في إطار الدعوة والكلمة المسؤولة؟

كل هذا نزل بكلّله - كأسئلة طبيعية وموضوعية، كانت اللبنة الأولى التي مهّدت لميلاد نقد (جنيني) يواكب صيرورة الأدب الإسلامي. ولعلّ من أخصّ المواضيع التي شملت كل هذه الأسئلة، وكانت سبباً لها؛ هي:

النقاش الذي طال العلاقة - التوافقية أو التعارضية - بين الخيال

ورسالة الأدب الإسلامي.. فبعضهم يراه سبباً في ضعف الأدب الإسلامي وتفقهه عما كان عليه في زمن الجاهلية. وبعضهم يراه مبعث الغنى والثراء والتنوع في الأدب الإسلامي.. أما آخرون فيرفعونه إلى درجة اقتراف المحذور.. سألنا د. محمد علي الرباوي عن رأيه في ذلك وكيف يمكننا الإصابة منه دون الإساءة لقيم الإسلام ومبادئه.. مع العلم أنها رخصة منحت للشعراء منذ خمسة عشر قرناً.. فقال:

سأله: المداني عداوي



فوائد النشر

فري المجلة



فإن للرفع من قيمة الأدب الإسلامي لابد أن يتحرر الأديب الإسلامي من اعتقاده أن إسلامية النص مرتبطة بمضامين، مرتبطة بالدعوة والواقع فقط. إن إسلامية النص مرتبطة بالرؤية الإسلامية، وبهذا يحق للمسلم أن يبتهل إلى الله، أن يمدح الرسول عليه الصلاة والسلام، وأن يواكب الدعوة، أن يتغزل، أن يصف، أن يكون واضحاً في خياله أو غامضاً: تصور لو أن الشعراء الإسلاميين اقتصرُوا على شعر الدعوة. ماذا سيكون مصير قطاع كبير من القراء الشباب والمراهقين، إنهم بشر، يحبون، لهم أحلامهم ماذا أعد لهم الشاعر الإسلامي، لا شيء، وهذا معناه أننا نسمح لشعراء غير إسلاميين بالتسلل إليهم سرّاً، إذ يجد القارئ المراهق المسلم حاجته في شعرهم، فيحدث المحذور، إن القراء المسلمين أصناف. صحيح أن أغلبهم يفضل الشعر الواضح. لكن ثمة من يتذوق الشعر القائم على لغة الرمز والإيحاء، هل علينا إهمال هذا القطاع. غرضي من كل هذا أن أقول لابد للأديب الإسلامي أن تتعدد أغراضه، وهذا التعدد سيؤدي إلى تعدد أشكاله.

لـلـ

ظل الحركة الإسلامية. ولهذا كان المغاربة الشباب النقاد هم الذين استطاعوا التنبيه على ما في إنتاج أكثر إخواننا المشاركة من ضعف، لكن مع الأسف، كانت لغة هؤلاء النقاد المغاربة تتسم بشيء من العنف، أذكر بهذه المناسبة ما قاله الأخ سعيد ساجد الكرواني في حق عميد الأدب الإسلامي المعاصر نجيب الكيلاني. في جريدة «المسلمون».

إن الإسلام دين شامل: جاء لتغذية الجانبين الأساسيين في الإنسان: الروح والجسد، والأدب الذي ينطلق من التصور الإسلامي لابد أن يخاطب في الإنسان روحه وجسده، لهذا فالأدب الإسلامي لا يحده مضمون معين. فهو إما دعوة إلى الإسلام، وإما وعظ وإرشاد، وإما أنه يواكب الصحوة الإسلامية وإما أنه غزل أو غيره.. وينتج عن هذا أن الشكل الفني مرتبط بطبيعة الغرض المعبر به عنه، فإن كان النص وعظاً وإرشاداً فليس من الضروري قيامه على الخيال وعلى لغة الإيحاء. ولكن لابد من جمال التعبير. وإن كان غزلاً، فلابد من الإيحاء، لابد من الرمز لابد من الخيال.. وإذا كان الغرض مرتبطاً بالذات فيمكن للغة الغموض الجميل أن تحط رحلها في النص.

وبهذا أقول إن الأديب الإسلامي أديب يمارس حرية كبيرة وهو يكتب، بخلاف الأدباء الذين ينطلقون من أيديولوجيات. هذه الحرية التي يشعر بها المسلم حدودها الإسلام.

□ لا تنشر المجلة أي موضوع سبق نشره.

□ موضوعات المجلة تنشر في حلقة واحدة ولا توزع على عديدين.

□ يرجى كتابة الموضوع على الآلة الكاتبة أو بخط واضح، مع ضبط الشعر والشواهد وألا يزيد عن خمس عشرة صفحة.

□ يرجى ذكر الاسم ثلاثياً مع العنوان المفصل ليتمكن وصول المكافأة الرمزية إلى الكاتب.

□ ترسل نبذة عن الكاتب في حدود سطرين.

□ يرجى توثيق البحوث توثيقاً علمياً كاملاً ووضع الهوامش في نهاية المقال.

□ الموضوع الذي لا ينشر لا يعاد إلى صاحبه.

□ إرسال صورة غلاف الكتاب، موضوع الدراسة أو العرض، أو صورة الشخصية التي تدور حولها الدراسة، أو المجرى معها الحوار.

قصة قصيرة..

تصبح الحياة أقل
قتامة أو أكثر
بهجة.

كان قد فرغ من
احتساء القهوة.
نظر في ساعة يده
متمللاً. بالتأكيد
لن يأتي أحد.

فجأة طالعاه
وجهه صالح
عبدالله يدخل من
باب المقهى مسرعاً.

تلقاه متهللاً:

- لو تأخرت دقيقة
واحدة لما وجدتني.

جلس صالح
لاهثاً، بينما أردف
عمر:

- سأسهر الليلة
في البيت. سهرة
عائلية احتفالاً بنجاح
ابني مصطفى. ثم
واصل كلامه
بصوت مشحون
بفرحة غامرة:

- لأول مرة ينجح
بتقدير جيد جداً.

همهم صالح
بنبرة فاترة:

- مبارك.

ثم لأن بالصمت على غير عادته.

فوجيء عمر. سألته بعد أن نظر إليه متمعناً، متحيراً.

- مالك.. يبدو أن المزاج الليلة ليس صافياً.

أرسل صالح آهة طويلة، ثم تدفق صوته مقوتراً..

- الليلة فقط؟... يا عمر يا أخي.. لا شيء - هذه الأيام - يجعل

المزاج صافياً.. هموم الحياة أصبحت لا تحتمل.. وغير هذا.. من في

مثل أعمارنا يعيش هائلاً، خالي البال.. ليس أقسى من الشيخوخة

طاف بعينيه
في جوانب
المقهى لم يأت
أحد بعد..
ناوشته الحيرة
للحظات. لم
يطل تفكيره.
مضى في
خطوات متثاقلة
نحو
مائدة خالية.
بعد قليل أقبل
النادل يسبقه
صوته:

- أهلاً عمر بك.

ثم أضاف

وهو يضع

فنجان القهوة

أمامه:

- الأستاذ

رفعت سال عنك

بالتليفون وقال إنه

ربما لا يجيء

الليلة. وصالح

عبد الله؟ لم أره

...الأستاذ

مرسي هو الذي

كان هنا. لم

يجلس أكثر من

عشر دقائق.

الموت فجأة

أخرج علبة سجائر من جيبه. سحب منها لفافة أشعلها ثم
أخذ يدخن متفكراً. شرد بذهنه مع ليااليه في المقهى. هددت
صدره مشاعر وأحاسيس حلوة. كم يعيش هذا المكان. لشد ما
يتشوق له حين يغيب عنه. ساعات لاحصر لها من عمره قضاه
هنا كم كانت ساعات حلوة إنها ليست كما يظن البعض وقتاً
عقياً ضائعاً، في اللعب والثروة والأحاديث اللاهية. لا تمر ليلة
بدون أن يناقشوا طويلاً هموم حياتهم. في المقهى رغم الصخب
والضجيج. تهدأ نفسه، يصفو خاطره من بعض ما يكرهه،

بقائه: عن عمر مكرم

لنفسى هالعا: ماذا سيفعل أبناي وزوجتي إذا مت فجأة.. أنت تعرف ظروفى جيداً.. وتعرف أن جدران مدفننا تصدعت، وبابه يوشك أن يتهاوى.. المهم.. قلت لنفسي: لابد من ترميمه.. لقد سبق لي أن فكرت أكثر من مرة في هذا الأمر، ولكني هذه المرة لم أتكاسل.. بعد العصر اتصلت بالحاج غنيم التربي.. اتفقت معه، وسيبدأ العمل بعد غد.. أتعرف فيم فكرت أيضاً؟

قاطعه عمر ضاحكاً:

- أرجوك.. حرام عليك.. لا أريد أن أعرف الليلة أكثر مما عرفت.. ثم نهض قائلاً:

- هل تأذن لي؟.. الأولاد كما قلت لك ينتظرونني..

- ساهمك الليلة شر هزيمة إذا جرؤت على أن تلعب معي..

قال عمر ساخراً:

- أنت لست شاطر إلا في الكلام.

علا صوت مرسى:

- أنت الجاني على نفسك.. لن أرحمك الليلة.

تساءل رفعت فجأة:

- قل لي.. ماذا فعل صالح عبدالله؟.. لم نره من يومين.

رد عمر:

- انتهى أول أمس من ترميم المدفن.. وسمعت أيضاً أنه اشترى كفنًا!

علق مرسى:

- لاحول ولا قوة إلا بالله.. أمره أصبح يحير.

جاءهم صوت النادل من آخر المقهى: تليفون يا عمر بك.

أسرع عمر إلى التليفون.. بعد قليل أقبل مكفهر الوجه، ذاهلاً.

حملقوا في وجهه في تساؤل وقلق ودهشة.

جلس عمر وهو يهمهم بصوت متهدج:

- حكمتك يارب.

وقبل أن ينطق أحد أضاف والدموع تترقرق في عينيه:

- كأنه كان يعرف أن الموت سيطرق بابه.

صرخ مرسى مبهوراً:

- من الذي مات؟.. صالح عبدالله؟!

- ليته كان هو!

- من مات إذن؟

رد عمر في صوت باك مبجوح:

- ابنه عاطف هو الذي مات.. مات في حادث!

لل

بأيامها الشحيحة القائمة.. العمر ضاع.. لم يبق منه إلا القليل.. انتهت السنوات الحلوة.. أين أيام الآمال والطموحات نحن الآن على حافة النهاية..

- صالح.. ما حكايتك الليلة؟!

أجابه بصوت غشيته رجفة خفيفة:

- هل تذكر عطية شاهين؟.. جاري الذي سبق أن حدثتك عنه..

تعيش أنت.

اغتم عمر. قال واجماً:

- إنا لله وإنا إليه راجعون.. الله يرحمه.

استطرد صالح بعد أن شرد بفكره قليلاً:

- مأساة أن يموت الإنسان فجأة.. تصور أنه كان في عمله..

يعمل وكله نشاط وحيوية.. وفجأة ندت عنه أمة ألم. التفت

زملأه ناحيته، هالهم منظره.. كان يضع يده على صدره متوجعاً..

أسرعوا إليه.. انهالت عليه تساؤلاتهم. رد بصوت يختنق: وجع في

صدري.. وجع رهيب. وبعد لحظات وقع مغشياً عليه. وقبل أن

يذهبوا به إلى مستشفى أو طبيب فاضت روحه إلى بارئها.

خيم الصمت الكثيب للحظات. عاد صالح يقول وهو يغالب

انفعاله وتأثره:

- كان معي من يومين.. يحدثني عن مشروع سيبدأ في تنفيذه بعد

إحالته إلى المعاش.. كانت الفرحة ملاء عينيه وهو يقول لي: لم يبق

سوى ثلاثة شهور، أتحرك بعدها من قيود الوظيفة ورتابتها اللعينة..

سأصبح من رجال الأعمال.. من صغارهم طبعاً، ولكن من يدري..

ثم أكمل كلامه مازحاً: ربما تحدث معجزة وأصبح مليونيراً!

تنهد عمر قائلاً:

- كل شيء بإرادة الله.. هذه سنة الحياة.. كلنا سنموت.. البقاء لله

وحده.

اتقدت مشاعر صالح.. انفجر قائلاً:

- جيلنا يتساقط.. رمزي مات السنة الماضية.. منصور في العناية

المركزة.. أسبوع حتى اليوم وهو في غيبوبة لا يفيق منها.

تأفف عمر:

- أستغفر الله العظيم.. أين إيمانك يا رجل؟.. قل لن يصيبنا إلا ما

كتب الله لنا.

سكت صالح بينما استطرد عمر:

- ولكن قل لي.. ما حكايتك هذه الأيام؟.. حقيقة أنك تنزع إلى

التشاؤم.. ولكنك أصبحت تغالي في تشاؤمك.

رد صالح:

- ماذا أفعل.. ليس بإرادتي.. قضية الحياة والموت لا تبارح فكري..

أي خبر وفاة يهزني من أعماقي.. أما حالات الموت فجأة فتفرعني..

تقلقني كثيراً.. اليوم مثلاً.. فور أن بلغني وفاة عطية قلت